لمحات عن المرأة والأسرة والزواج في طرابلس في العهد العثماني الثاني (1835-1911م)

ألسيده المهدي سعيـــــد المختار عبد القادر المختار

قسم التاريخ- كلية العلوم الاجتماعية العواته-جامعـــة الزيتونـــــة

ملخص البحث

تناولت هذه الورقة البحثية دراسة دور المرأة الطرابلسية في الحياة الأسرية والزواج في العهد العثماني الثاني ،1935- 1911م ،فقد أدت المرأة الطرابلسية دوراً لا يمكن إغفاله أو الاستغناء عنه، وتركز هذا الدور في مراعاة احتياجات الزوج وإنجاب الأطفال وإدارة شؤون بيتها من مأكل وملبس ورعاية أبنائها، واقتضت الفطرة وجود نظام يحدد العلاقة بين الرجل والمرأة يتمثل هدا النظام في الأسرة التي تعد المصدر الوحيد الذي ينتج الأفراد الدين يقوم عليهم المجتمع ،وتناولت الدراسة علاقة المرأة بالرجل ، الذي كان المسيطر على الأسرة ويتمتع بصلاحيات واسعة على كافة أفرادها ،وعلى الرغم من أن المرأة هي العنصر الأساسي الثاني ،إلا أنها عانت الكثير من سيطرة الرجل ، وتناولت الدراسة دور المرأة في الزواج الذي هو الرابط الأول لتكوين الأسرة بين الرجل والمرأة ، فمراحل تكوين الأسرة هي الخطبة والعقد والزفاف ، ويكمن دور المرأة في الخطبة في اختيار العروس لأبنها أو أخيها وأحيانا زوجها ، فبعد أن يتم العزم من أحد الأسر لتزويج ابنها يكلف الزوج زوجته لزيارة أسرة الفتاة المراد خطبتها ، وبعد أن يتم الاتفاق على المهر الذي اختلفت قيمته من المناطق الحضرية إلى المناطق الريفية ،وكذلك باختلاف المستوى الاقتصادي لكل أسرة ، وبعد عقد القران تبدأ حفلات الزفاف والتي تستمر في معظم مدن إقليم طرابلس من يوم الاثنين إلى يوم الجمعة ، ويكمن دور المرأة في هذه المرحلة في الإعداد لها على قدم وساق من غسيل الصوف وتجهيز المفروشات ، إلى شراء لوازم العرس من هدايا وملابس وعطور وغيرها ،ولم يقتصر دور المرأة الاجتماعي في الخطبة والزواج ، وإنما شمل أشياء أخرى كوقوفها أمام القاضي للمطالبة بحقوقها أيا كانت ومثلت المرأة الطرابلسية طرفاً أساسيا في المجتمع الطرابلسي رغم الصعوبات التي واجهتها .

الكلمات المفتاحية : المرأة ، الرجل ، الأسرة ، العثماني ، الطرابلسي .

المقدمة

إن أحداث التاريخ العثماني على امتداد مراحله الزمنية بحاجة إلى مزيد من التقصي والتدقيق والتحليل ، ولاسيما الجوانب الاقتصادية والاجتماعية ، وتأسيسا على ذلك فإن دراسة المجتمع الطرابلسي في هذه الفترة تعد أمراً جديراً بالاهتمام ، فقد شكلت الأسرة عبر التاريخ أهم أسس الحياة الاجتماعية باعتبارها النواة الأولى للمجتمعات البشرية عموماً ، والمجتمعات العربية خصوصاً، والتي كان المجتمع الطرابلسي إحداها ،الذي لعبت فيه المرأة الطرابلسية دوراً متشابهاً في مختلف الأسر الحاكمة أو المحكومة الغنية منها والفقيرة ، ولايمكن إغفال هذا الدور أو الاستغناء عنه ، وأنيط بها الكثير من الوظائف الاجتماعية التي كانت تقوم بتأديتها على أكمل وجه ، وتمثل هذا الدور في مراعاة احتياجات الزوج وإنجاب الأطفال وإدارة شؤون المنزل من مأكل وملبس ،وهي متطلبات كانت تواجهها السيدة الطرابلسية شخصياً وأحياناً كان هناك من ينوب عنها من الخدم والعبيد الذين تأمرهم سيدة المنزل بأداء واجبات ذات صلة بالمطبخ كإعداد الفطور وصنع الخبز والفطائر ، والأمور المنزلية الأخرى من تنظيف الدار والمفروشات وغير ذلك [الطالب ، ص37]، وبالرغم من ذلك فأن أغلب المجتمعات لم تعترف بها وعدّتها عنصراً غير فعال ، ولم تحض المرأة في المجتمع الطرابلسي بالمكانة التي يجب وضعها فيها بسهولة ، لاسيما محاولة بعض الكتابات الأجنبية تهميشها وإغفال الدور الذي قامت به متعمدة ، فألصقت بها العديد من التهم والمغالطات ،

ووفق ما تقدم سعى البحث إلى محاولة تقديم رؤية تاريخية - اجتماعية عن المرأة الطرابلسية ودورها في المجتمع الطرابلسي في ضوء خصوصية هذه المرحلة إلى جانب مراحل الزواج والأسرة .

أولاً - المرأة والأسرة :

أثرت التركيبة الاجتماعية على نحو كبير في تكوين الحياة الأسرية في المجتمع الطرابلسي إذ عُدَّ الرجل المسيطر على الأسرة والمرشد لها ، وتمتع بصلاحيات واسعة على كافة أفرادها ، ومن الأسباب التي جعلت السلطة تتركز في يد الرجل أسباب اقتصادية ، فهو الذي ينفق على الأسرة في أغلب الأحيان ؛ ولأنه محور كل هذه النشاطات فقد تمتع باحترام وهيبة كبيرين ، وكذلك عزز مكانته الأسرية العامل الديني إذ حض الإسلام على طاعته ،[حطب،ص161]فمادام الأب يقف على رأس الأسرة فطاعته واجبة ، ومن هنا تأتي طاعة الزوجة والأبناء لرب الأسرة [حطب، ص58]، وعلى الرغم من أن المرأة هي العنصر الأساسي الثاني في العائلة الطرابلسية في العهد العثماني الثاني ، إلا أنها عانت الكثير من سيطرة الرجل عليها ، الذي نظر إليها نظرة دونية وفرض عليها الكثير من القيود

التي حدت من حريتها داخل الوسط الاجتماعي الذي عاشت فيه واتضح هذا السلوك المتشدد نحو المرأة الحضرية أكثر مما هو الحال بالنسبة للمرأة الريفية [طالب ، ص58]،إن علاقة الرجل السلبية بالمرأة الطرابلسية انعكست في مظاهر اجتماعية مختلفة من بينها الملبس النسوي في المراكز الحضرية ،حيت كانت النساء في مدينة طرابلس يرتدين أردية بيضاء لا يظهر منها سوى العين ، وقد اختلفت تلك الأردية في مناطق أخرى من الإقليم وفق الاتجاهات الاجتماعية والاقتصادية ، ففي تلك المناطق ارتدين أردية تكشف عن أجزاء من أجسامهن (وجوههن وأرجلهن) للحاجة الماسة لهن في خدمة الأرض مما حتم عليهن أن تكون ألبستهم ملائمة لذلك الوضع ،[هاملتون، ص214]

مما سبق يتضح أن مستوى علاقة المرأة الطرابلسية بالرجل في العهد العثماني الثاني كانت تتسم في أغلب الأحيان بالخلل القائم على مبدأ سيطرة الرجل وفرض إرادته على المرأة ، والذي يصل أحيانا إلى الإساءة إليه.

وكان المجتمع الطرابلسي مجتمعاً قبلياً في طبيعته وتركيبته ، فالقبيلة في المجتمع الطرابلسي كانت وحدة سياسية واقتصادية واجتماعية ، بنيت أساساً حول عائلة (نواة) كان يرأسها رجل يتبعه أفراد العائلة ومن مجموع هذه العائلات تكون العشيرة ، والتي من مجموعها تتكون القبيلة ، ووجدت مقومات عدة جمعت بين هؤلاء السكان منها أن غالبيتهم يدينون بالإسلام، إلى جانب أن العربية لغة غالبية أفراد المجتمع وهو الذي ساعد على تماسكه إيجابيا [الدجاني ، ،ص218]ومع كل تلك المقومات الإيجابية فقد فرضت التركيبة القبلية على المجتمع عادات وتقاليد وممارسات وأعراف على الأسرة توارثها الخلف عن السلف ، وهي ذات صلة بالزواج والوفاة والمأكل والملبس والأعياد والمناسبات الاجتماعية والدينية [الطالب، ص 27- 28]

ولما كان أفراد الأسرة ينتمون إلى الأب فأن هذه الأسرة مناط بها كل الوظائف الاقتصادية والاجتماعية والتربوية والخلقية ، وهي البوتقة التي ينصهر فيها أفرادها بكم الوظائف التي تنسب إليها ، ومن ثم يتكامل أفرادها مع باقي فئات المجتمع ، وهي أسرة مركبة كثيرة العدد تضم الجد والأبناء والأحفاد ، ومن مظاهر هذا البناء الاجتماعي استحواذ الجد على السلطة الكاملة والأكبر من الأبناء والأكبر [الفنيش، ص45] ، ومن ثم فإن علاقة الرجال بزوجاتهم وأفراد الأسرة الآخرين قائمة على الأمر والطاعة ، فاجتماع الرجال الذكور من الأبناء يكون وقت الأكل والعمل والسهر ، أما أفرادها من النساء فيشكلون مجموعة منفصلة تتألف من الأم وبنات أولادها [الأحرش، ،ص2]، وعلى صعيد الزواج كان الأب هو المتحكم بمصير أبنائه بتزويجهم لمن يشاء دون أخذ رأيهم ، الأمر

الذي أدى إلى مشاكل داخل الأسرة ، لعل أبرزها لجوء الفتاة إلى القضاء لأخذ حقها كما في القضية الواردة في سجلات محكمة طرابلس الشرعية التي أدعت فيها البنت البكر المسماة حلومة ابنة صفر أوغلوا قائلة فيها إن والدها زوجها لرجل غير راضية عنه [مروان،ص80- 81]، وقد تضطر البنت إلى حل آخر في بعض الأحيان وإن كان ينافي عادات مجتمعها بمعصية والدها والفرار مع من ترغب الزواج به حال سماعها بأن والدها زوجها لشخص لا ترغبه ، الأمر الذي جعل والدها يرفع دعوى بهذا الخصوص للقضاء الشرعي لكن القضاء حكم لصالح أن تزوج الفتاة بمن ترغب [الفقيه، ص411].

وعلى الرغم من الموقع المهيمن للرجل في الأسرة في إقليم طرابلس أثناء العهد العثماني الثاني فإن هذا الموقع لم يحقق للرجل امتيازات مطلقة ، إذ إن مكانة المرأة ودورها في الأسرة خففا إلى حد ما من السطوة غير المحدودة التي تمتع بها الرجل فيظل الأعراف والعادات والتقاليد الموروثة اجتماعيا .

ثانياً- الزواج :

اقتضت الفطرة وجود نظام يحدد العلاقة بين الرجل والمرأة حتى لا تنتشر الإباحية في المجتمع ، مما يؤدي إلى فساد الدماء وانتشار الأمراض التي تسبب العقم ،ويتمثل هذا النظام في الزواج الذي يعد المصدر الوحيد الذي ينتج الأفراد الذين يقوم عليهم المجتمع ، ويعد الزواج هو الرابط الأول لتكوين الأسرة بين الرجل والمرأة ، وله عدة خطوات ومراحل يمر بها، فمراحل تكوين الأسرة هي الخطبة ، العقد ، الزفاف .

1- الخطبة :

كانت الخطبة للأبناء إحدى واجبات الآباء تجاه أبنائهم ، فقد كان الأب ملزما اجتماعيا بتزويج أبنائه ، فعادة ما كان الأب والأم وبعض الأقارب في الإقليم مسؤولين عن اختيار شريك أو شريكة الحياة ، وما كان على الأبناء سوى القبول بهذا الاختيار ، وقد اختلفت طريقة الخطوبة في إقليم طرابلس ما بين المراكز الحضرية والريفية ، فبالنسبة لمدن طرابلس مثلا كانت الأم أو الأخت أو إحدى الأقارب تتولى مهمة اختيار العروس وفق موصفات أخلاقية وشكلية ،[مروان ،ص 168]،وخلال الزيارة الأولى كان يتم التعرف علي العروس وأسرتها ، وإذا ما رأت الأسرتان أن أوضاعهما علي درجة من التقارب والتفاهم فإن كلا من أم العريس وأم العروس يعودان إلى زوجيهما ويخبرانهما بما تم الاتفاق عليه ، وتحال مناقشة بعض القضايا إلى الزيارة الثانية التي يتم فيها النظر في مطالب الأسرتين [المزوغي،ص68 - 69]، واللافت للنظر أن هذه العملية في المجتمع الطرابلسي تتم عن

طريق المرأة الخاطبة وبرضاها ، وأن لم ترض عنها لا تكتمل ، وهي المكلفة بهذه المهمة ، فأما أن تكون أم الخاطب أو أخته [تود، ص115]، وفي حالات نادرة تكون زوجته فبعد أن يتم العزم من أحدى الأسر لتزويج أحد أبنائهم يكلف الزوج زوجته لزيارة أسرة الفتاة المراد خطبتها لأبنها أو لزوجها لجس نبضها ومعرفة قبولها من عدمه ، وبعد أن يتم القبول بين نساء الأسرتين يأتي دور الرجال لكي تكتمل الخطبة رسميا ، وإذا ما تم الاتفاق فإن أسرة العريس تقدم إلى بيت العروس ما يسمي بـ (البيان) الذي عادة ما كان يتألف من بعض الهدايا التي تنوعت وارتفعت قيمتها تبعاً للوضع الاقتصادي والمادي للأسرة حينذاك [الفقيه ،ص233، ص411]بالإضافة إلى ذلك فإنه كان يجرى تبادل الهدايا بين الأسرتين لاسيما في المناسبات الدينية والاجتماعية والتي قد تستمر لغاية إتمام الزفاف، أما في الريف فقد كان يتغاضى عن بعض المواصفات التي كانت ترتبط بعملية الخطبة في المراكز الحضارية .

والجدير بالملاحظة سيطرة العادات والتقاليد سيطرة شبه تامة على هذه المرحلة المهمة في تكوين الأسرة ، ولعل أغلب هذه المظاهر مازالت مستمرة إلى يومنا هذا ، فالأباء والأمهات والأخوال والأعمام هم الذين يقررون مصير الشاب والفتاة في اختيار شريك الحياة [الحضيري، ص136]، وفي الغالب لم يكن للشاب أو الفتاة الحق في رؤية بعضهم البعض قبل الخطبة أو الزواج [بعيو،ص48]، مما يؤدي إلى نتائج وخيمة على الاثنين ، وخصوصا البنت فالعرف يجيز أن يتبرأ أهلها منها في حالة قيامها بذلك ، إلا أن بعض الرجال يتسنى لهم رؤية الفتيات اللاتي سيرتبطون بهن ، وهذا يتوفر بدرجة كبيرة في الريف نظراً لطبيعة البيئة التي تسمح بخروج المرأة للحقل لأداء بعض الأعمال .

وقد أثقلت بعض العادات والتقاليد كاهل المجتمع، وحالت دون تطور نواته الأساسية (الأسرة) ، فعلى سبيل المثال لا للحصر كان من العادات الاجتماعية في هذه الفترة ظاهرة الزواج من الأقارب والتي اختلفت أسبابها ، ولعل من بينها الرغبة في أن تبقى الأراضي الملك داخل العائلة الممتدة ، وتجنب دفع المهر باهظ الثمن [موسى، ص42]، ووفق تلك الطريقة التقليدية للزواج حرمت بعض الأسر الطرابلسية من فرص الزواج من أسر أخرى خارج إطار القبيلة الواحدة إلا في حالات نادرة ،ويتضح الدور الفعال والكبير للعامل الاجتماعي ولاسيما العادات والتقاليد والقيم في هذه المرحلة من مراحل تكوين الأسرة .

2- المهر :

وبعد الاتفاق على الخطبة يتم تحديد المهر المطلوب من أسرة الفتاة ، وتختلف قيمة المهر في المدينة عن الريف فاحتياجات كل وسط تختلف باختلاف ذلك الوسط ، ويعد المهر من أهم المشكلات التي تواجه الأسرة الطرابلسية في مراحل تكوينها ولاسيما في المدن ، وعادة ما يتكون المهر من بعض الحلي الذهبية والفضية بحسب مقدرة العريس ، وكذلك نقدا يصل عادة أربع ليرات تركية ، ويقدم العريس إلى جانب ذلك بعضاً من ملابس الحرير التي تتكون من حولي الحصيرة (رداء من الحرير) و (القمجة)وهي الفستان الذي يلبس تحت الرداء والتي لا يجوز الزواج من دونهما ، [دار المحفوظات التاريخية ،وثيقة عربية ،1906]إلى جانب مرقوم وفرش ومخدة وصندوق كما يقدم العريس لأهل العروس بعض المواد التموينية من الشعير وغيره ، وأربعة من الشياه أو المعز ، وعادة ما يكون الاتفاق على المهر قد تمّ سلفا بالتراضي والقبول بين الطرفين ، ويعلن ذلك أمام شهود عقد القران [دار النائب الأنصاري ،وثيقة غير مصنفة].إلى جانب ذلك ما يعرف بالأثاث الذي يؤثث به المنزل ، فهو يكلف أثمانا باهظة ، وكل هذه الأشياء تحتاج إلى أموال طائلة للأنفاق عليها والالتزام بها في ظروف الحياة الصعبة والتي يؤدي فيها الفقر دوراً مهماً، والتي كانت السبب الأهم وراء إحجام العديد من الشباب عن الزواج ، فهذه العادات هي نتاج الكل ، وجاء البذخ والإسراف في تجهيزات العروس في سنوات الغيث الوفير حيت معدل المطر مرتفع ، والمحصول الذي يعتمد عليه غالبية السكان وافر ، لهذا وجدت مهور غالية ومستلزمات باهظة الثمن ، ولم ترع الظروف الصعبة ، وسنوات الجفاف والحرب ، فسارت مسرى العرف المتوارث والمتأصل الذي لا يتغير أو يفرط فيه وأمام حاجة الشباب للزواج ، وضعف قدراتهم المالية جاءت الدعوة إلى معارضة وإلغاء تكاليف الزواج حينما اعتبرت مستلزماته الباهظة أهم المعوقات التي تواجه الحياة الأسرية ،[الاحرش، ص181- 182]

ومع مرور الوقت أصبحت هذه العادات مستهجنة وزاد عدد المنادين بإلغائها والعودة إلى البساطة الإسلامية في تقاليد الزواج مع الاستغناء عن التكاليف الباهظة المترتبة عنه ، ودعا البعض إلى ضرورة رؤية الشاب للفتاة التي سيرتبط بها ،رغم أن المعتاد عليه كان المحافظة ،ولا يسمح برؤية الفتاة ألاعن طريق نساء العائلة .

3- العقد :

عندما يتم الاتفاق بين أسرة الشاب وأسرة الفتاة يحددون موعداً لعقد القران يسمى (بيوم الفاتحة) يُدعى فيه أقارب وأصدقاء الطرفين لحضور عقد القران وغالباً ما يوكّل العروسان وكيلين عنهما ،

ليتولى القاضي أو وكيله ومن ينوب عنهما عملية عقد القران بقراءة ما تيسر من القرآن الكريم ، تم تقدم المرطبات للمدعوين هذا في الحضر أو المدن ، أما في الريف يتم تقديم (الكسكسي و البازين) ، ثم يقوم الإمام بذكر ألفاظ العقد والشروط التي تمّ الاتفاق عليها ويردد الوكيلان الشروط معه[شرف الدين،ص369].

وتكمن أهمية الزواج في حفظ العلاقة بين الرجل والمرأة كما نصت عليه الشريعة الإسلامية وفي إطارها القانوني المتعارف عليه، فإن توثيق العقد له أهمية في حفظ الحقوق والواجبات متمثلة في دفع معجل ومؤجل الصداق والنفقة ، وسجلت عقود الزواج في سجلات المحاكم الشرعية ، إذ يقوم قاضي المحكمة الشرعية بكتابة العقد وبهمره بختمه ، وتوقيع شهادة الشاهدين ، وتنطلق الزغاريد بعد العقد ، ويشارك الجيران وأهل الحي بالتعبير عن الفرح ، وترتدي النساء أبهى حللهن وتبدأ الحفلات بقرع الطبول وأهازيج الزنوج التي تتخللها أحيانا الألعاب النارية [تود، ص127]، وفي هذه الأثناء يصل إلى بيت العروس مستلزمات العرس في عربة تكون قد جابت شوارع المدينة وتبدأ في هذه الأثناء حفلات الزفاف .

4- الزفاف :

تبدأ حفلات الزفاف في معظم المدن الليبية يوم الاثنين ، لوازم العرس من ملابس وهدايا وعطور ، وكذلك لوازم الأكل ، وتنقل إلى بيت العروس ويعرف هذا اليوم في طرابلس (بيوم القفة) ، وفي مناطق الريف أو الدواخل(بيوم الرمي أو الجهاز) ، وفي بعض المناطق مثل سوق الجمعة والزاوية (بيوم الكسوة) ، [بوشويشة ، ص196]، يليه يوم الثلاثاء وهو يوم (الحنة الصغيرة) ، حيت تحنى العروس والفتيات بالحناء ، وتقوم الزنجيات من الزمزمات بترديد نغمة خاصة تتردد في هده المناسبات فتزيد من بهجة هده المناسبة ،وتستمر الأفراح إلى يوم الأربعاء حيت يجتمع في ذلك اليوم بعض النسوة اللاتي يعرفن بالزيانة وتختلين بالعروس ويقمن بنزع الشعر من جسدها ، وفي هذا الوقت يقمن صديقات العروس بالغناء والرقص، يحل بعد ذلك يوم الحنة الكبيرة وفيه يعاد وضع الحنة على يدي العروس ورجليها ، وتزين العروس في هذا اليوم بالمساحيق العطرية المستخلصة من الأعشاب العطرية التي يكون العريس قد أرسلها لعروسه في يوم القفة وتكمل العروس زينتها بالكحل ، وتزين أطراف شعرها المصفوف بقلائد الفضة التي غالبا ما تكون ثقيلة ، وترتدي العروس في هذا اليوم لباسا أزرق مطرز بفتلات ذهب أو فضة [ابن موسي، ص44]، وتنتعل حداء في لون ملابسها وشكل

تطريزها ، ثم تأتي ليلة الخميس وتعرف (بليلة الدخلة) ، ويتخلل هذه الأيام الغناء والابتهاج من الأسرتين [تود، ص129] .

أما العريس فيعتزل في هذه الفترة منزل أسرته ويتحاشاه مقابلة أمه وأبيه ، ولا يستقبل إلا بعض الخواص من أصدقائه [بوشويشة ، ص198]، وفي يوم الخميس تقام في بيت العريس حفلة غداء مكونة من الكسكسي ، الذي يتناوله المدعوون بملاعق طويلة المقابض [تود ، ص118]،وتخرج العروس من بيت أبويها لتركب في عربة ذات ستائر تحجب عنها الأنظار وتزفها عدد من صديقاتها وبعض المغنيات والمغنين في عربات أخري لتصل إلى بيت العريس [كاكيا، ص60]، ويستمر الاحتفال حتى ساعات متأخرة من الليل ثم تبدأ (الزفة الكبرى) ، وفيها يسير العريس وهو يرتدي سورية وفرملة وحولي [بوشويشة، ص168]، وعند عتبة المنزل تكسر أمه (جرة) مملوءة بالماء في إشارة منها على أنه صاحب السيطرة في المنزل ،وأن تبدل زوجته له الإخلاص .

ويستمر حفل الزفاف لمدة أسبوع أو ستة أيام تبدأ بيوم الاثنين وتنتهي بيوم السبت المعروف (بيوم المحضر) ويتم الاحتفال به في بيت الزوجين حيت تجتمع النساء وتتزين بأبهى ما عندهن ، ثم يأتي (يوم السبوع) وبعده (يوم الأربعين)، وتبقى العروس لمدة شهر تقريباً في أبهى زينتها لا تغادر غرفتها التي تزدهي بألوان المطرزات من الستائر والوسائد والشراشف وبالسجاد الشرقي، وغالبا ما تدل الغرفة على مقدرة العريس المادية ولا تخرج العروس في هذه الفترة إلا لزيارة بيت أبيها أو ربما تخرج في المناسبات الطارئة كوفاة أحد المقربين من الأهل [بوشويشة، ص126].

وهذه المظاهر والشكليات تحتاج إلى أموال طائلة للإنفاق عليها والالتزام بها ، ويمكن تحديد بعض مشاكل الزواج في أقاليم طرابلس فيما يلي -

1- في الريف والدواخل هناك بعض الأوضاع السليمة في مرحلة الخطبة والزواج ، وتقتصر المشاكل فقط على سكان المدن الساحلية وما يرافقها من تدخل أولياء أمور الشباب والفتيات تدخلاً يكاد يكون كلياً في اختيار شريك الحياة .

2- عدم السماح للشاب برؤية خطيبته إلا في ليلة الزفاف بما لهذه الطريقة من مساويء تترتب عليها معظم المشاكل التي تعاني منها الأسرة الطرابلسية .

3- الشروط التي يحددها أولياء أمور الفتيات والتي تضع في الاعتبار الأول المظاهر الشكليات مكانة الأسرة الاقتصادية دون النظر إلى أخلاق الشاب وأسرته .

4- شدة التفاخر بين الأسر في المهور والهدايا وحفلات الزفاف ، مثال ذلك محاولة الزواج من أسرة تحتل مركزاً اجتماعياً معيناً ومحاولة أهل الريف الزواج من ساكني المدن .

5- بات يُنظر إلى المهر على أنه ثمن لقيمة الفتاة الاجتماعية مما جعله يصل إلى مبالغ طائلة تثقل كاهل الشاب وتجعله غير قادر على توفير المبلغ المطلوب منه كمهر للفتاة الراغب في الزواج بها ، والذي يتراوح بين الطبقات المتوسطة ما بين (5000و1000) ليرة تركية ولا يجد الشاب بدا من توفيره والاضطرار للدين ،[الفنيـــش،ص52- 55]

ولم يعرف مجتمع طرابلس تعدد الزوجات إلا في حالات نادرة ، ولربما يرجع ذلك إلى روح الترابط الأسري التي تسود المجتمع الطرابلسي ، كما يرجع في جزء منه إلى الوضع المادي للأسرى ، أما الطلاق فلم يكن ظاهرة عامة ، وكانت المشكلات الزوجية المستعصية تُحال المحاكم الشرعية التي تنظر فيها وفقاً للشرع والقانون [دار المحفوظات والوثائق التاريخية ،1982- 1983،رقم 98].

ويكمن دور المرأة في حفلات الزفاف في الإعداد له على قدم وساق ، ويتطلب ذلك مجهوداً كبيراً من النسوة في غسيل الصوف وإعداد المفروشات ،وتنظيف المنزل وإعداده لاستقبال الضيوف كما تكلف أم العروس وأم العريس مجموعة من النساء المعروفات (بالمستدانات)بدعوة الضيوف من النساء للحضور العرس [الفنيش ، ص50]، وتكلف أم العريس أو أخته بشراء لوازم العرس من هدايا وعطور ولوازم الأكل ونقلها إلى بيت العروس ،ويكتسي دور المرأة أهمية بالغة في الحياة الاجتماعية خلال العهد العثماني الثاني بالإضافة إلى دورها في الخطبة وحفلات الأعراس ، وكانت المرأة الطرابلسية هي التي تتولى إعداد ابنتها منذ الصغر للزواج ، وكانت بعض العائلات الغنية تنفق أموال طائلة على شراء هذا الجهاز لبناتها وهي في سن صغيرة [تولي، ص269- 338].

إضافة إلى ما تقدم كانت المناسبات الاجتماعية في إقليم طرابلس خلال العهد العثماني الثاني مظاهر تفصح إلى حد بعيد مدى تعزيز الترابط الاجتماعي بين الأسر الطرابلسية ، ففي الأعراس مثلا كانت النسوة يقمن بمساعدة بعضهن البعض في عمل تعاوني يسمى (الرغاطة) ويتجلى مثل هذا التعاون في المناطق الريفية ، [المزوغي، ص71- 76]، علاوة على ذلك كانت الأعراس الطرابلسية فرصة للتعبير عن ترابط الأسر من خلال تقديم المساعدات لصاحب الفرح ، أو أن تأتي كل أسرة بطعام جاهز من بيتها إلى بيت العرس ليسهموا جميعا في الطعام [الحضيري ، ص 157]

مما تقدم يتضح أن دور المرأة الاجتماعي لم يقتصر على الخطبة والزواج وإنما شمل أشياءً أخرى دلت على مكانتها الاجتماعية ، كوقوفها أمام القاضي للمطالبة بحقوقها أيا كانت إضافة إلى ذلك

وقفت المرأة مع أهل زوجها في السراء والضراء وبرهنت علي التكافل الاجتماعي ، ومثلث المرأة طرفاً أساسيا في المجتمع الطرابلسي رغم الصعوبات والمعوقات التي واجهتها إضافة إلى ذلك تبين أن الأسرة الطرابلسية عاشت مترابطة متعاونة في شتى المجالات وتبعا لذلك فقد انعكس هذا الترابط علي علاقتها بالوسط الأكبر المحيط بها ، ونعني بذلك المجتمع فغدوا بذلك متآزرين يقدم لبعضهم البعض المساعدات في المناسبات المختلفة الأمر الذي دعم التكافل الاقتصادي - الاجتماعي الذي كان أحد أهم الوظائف الاجتماعية للأسرة الطرابلسية خلا العهد العثماني الثاني

المصادر والمراجع

1 - الفنيش، أحمد علي ،المجتمع الليبي ومشكلاته، ط1 ،مكتبة النور،طرابلس،1967

2 - الدجاني، أحمد صدقي ،ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي، المطبعة الفنية الحديثة، طرابلس 1984

3 - الطالب، آمال أمحمد، الحياة الأسرية في ولاية طرابلس الغرب في العهد العثماني الثاني 1835-1911م،مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ،طرابلس،2006م

4 - الأحرش، أحلام الطاهر، مراحل تطور المرأة الليبية 1943- 1969م، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب ، جامعة الزاوية ،طرابلس ،2007م

5 - الحضيري، أبوبكر عثمان القاضي، فزان ومراكزها الحضارية عبر العصور، مركز دراسات وأبحاث الصحراء، د.ت

6- تولي، ريتشارد، عشرة سنوات في بلاط طرابلس، ترجمة عمر الدرديري،الفرجاني، طرابلس،

7- بعيو، أميرة المقطوف مصطفى، المرأة في طرابلس الغرب من خلال المصادر المحلية 1711-1911 ،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية التربية ،جامعة الزاوية طرابلس 2008م

8- بانزة، إفالد، طرابلس مطلع القرن العشرين، ترجمة عماد الدين غانم، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ،طرابلس، 1997م

9- بوشويشة، حسين سالم، الحياة الاجتماعية في طرابلس في العهد العثماني الثاني، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ،طرابلس، 1996 م

10- تود، مابل لومس ، أسرار طرابلس، الفرجاني، طرابلس، 1968م

11- حطب، زهير، تطور بني الأسرة العربية، معهد الإنماء العربي، 1976م

12- حسن، حسن الفقيه، اليوميات الليبية ،ج1، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس ،2001م

13- شرف الدين، إنعام محمد سالم، مدخل إلى تاريخ طرابلس الاجتماعي والاقتصادي ،ط1، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ،طرابلس 1998م

14- مروان، محمد عمر، سجلات محكمة طرابلس الشرعية1760- 1854م، رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة الفاتح، طرابلس، 1997م

15- دار النائب أحمد الأنصاري ، وثيقة عربية غير مصنفة، عقد زواج ، د.ت

16- دار المحفوظات والوثائق التاريخية

17 - طرابلس، وثيقة عربية ،م7س د/1322،30، 1906 .